13

التغييرات الآسيوية

الديمقراطية الهندية: حالة الطوارئ؟

كان لمستقبل دولة الهند أهمية عالمية لا جدال فيها. وعندما شغلت انديرا غاندي منصب رئيس الوزراء، كان هناك الكثير من الانتقادات بالداخل والخارج بشأن ما يتردد في الواقع بأن الهند تعتبر أكبر دول العالم ديمقراطيًا (حيث وقف جمهور الناخبين البالغ عددهم 250 مليون – وبلغت نسبة المشاركة 61.3 في المائة). وفي حال عدم تحقيق الهند الديمقراطية المطلوبة، فهذا سوف يشير إلى عدم وجود مستقبل لدولة الهند في الدول النامية. وقد أعلنت السيدة غاندي في مناسبة من المناسبات صراحة أنه من الصعب تفسير دولة الهند للعالم الخارجي. وفي المقابل، لم يتأكد العالم الخارجي ما إذا كان تقدم وتطور دولة الهند علامة ودلالة على استمرارها أو بداية لاتجاه جديد. لا يعد الوصف الموجز والمختصر للهند، داخليًا أو خارجيًا، كافيًا ومناسبًا. وقد أصبحت انديرا وزيرة في حكومة شاستري عندما توفى والدها. وقد حققت فوزا في الانتخابات التالية وأحرزت أصوات أكثر من تلك التي حصل عليها مورارجي تساي تقريبا بنسبة اثنين إلى واحد؛ بعد أن تم دعمها وتأييدها من جانب شخصيات بارزة بالكونجرس. ففتحت تلك المنافسة في حد ذاتها اتجاهات هندية مختلفة ومتنوعة.

وقد كان ديساي يناهز من العمر 70 عامًا عندما كان خبيرًا بالكونجرس؛ حيث تلقى تعليمه بـ (مومباي) وتم اعتقاله بدولة الراج البريطاني. وقد كان محنكًا ومتمرسًا بشكل واسع في السياسات الخاصة بمومباي – المركز التجاري والصناعي على نحو متزايد الخاص بالدولة – قبل الانتقال إلى جميع السياسات الهندية باتخاذ مسئوليات وزارية تجاه الشؤون التجارية، الصناعية والمالية برئاسة رئيس الوزراء نهرو. فلم يكن مسافرًا أو رحّالا عالميًا. حيث اختلفت الهند الذي قام بعرضها عن تلك المعروضة من جانب خصمه. حيث جمع بين سياسة التقشف الصارمة الخاصة بانديرا غاندي – على الرغم من تطبيقها بشكل عام – وإيمانه بالمشروعات التجارية الحرة. ولم يشاركه أحد من القادة السياسيين الغربيين في اعتقاده وإيمانه بأحاسن العلاج بالبول، على الرغم من تبرير تلك الأحاسن ظاهريًا في العصر القديم الذي عاش فيه بعد ذلك. ويعتبر أساسه ومنشأه الهندي الغربي أمر هام للغاية. وقد كان على علم بشكل أساسي بالجوانب السياسية للتوترات اللغوية الخاصة بالدولة. حيث تم بناء وتأسيس ولاية ماهاراشترا وعاصمتها مومباي عام 1960 لمواجهة بلبلة متحدثي اللغة المهاراتية. حيث تعد تلك الولاية ثاني أكبر الولايات المأهولة بالسكان وواحدة من الولايات الأكثر ازدهارًا في الاقتصاد بالهند (حيث يكون المدى بين أكثر وأقل ولاية كبير وهائل). وقد تجاوز عدد السكان بالولاية 50 مليون فرد عام 1971، وكانت تمثل واحدة من أكثر اللهجات أو اللغات أهمية بالهند. وقد شغل ديساي منصب نائب رئيس الوزراء ووزير المالية، ولكنه انفصل عن غاندي عام 1969. وقد انضم إلى مزيج متنوع من المجموعات التي تمثل المعارضة. وقد كان واحدًا من هؤلاء الشخصيات الذين تم اعتقالهم في ظل إعلان حالة الطوارئ عام 1975 (والتي سيتم الإشارة إليها بعد قليل).

قد كان للغة أهمية وشأن بالهند، لاسيّما في تلك الفترة. وقد اعترض الأفراد المتحدثون باللغة التاميلية في جنوب شرق البلد اللغة الهندية كلغة محلية. حيث ساعد اكتشاف ولاية تاميل نادو الهندية بعاصمتها مدراس (تشيناي)، مع ذلك، على نقل سياسة المنطقة بصورة تدريجية بعيدًا عن الاتجاه الانفصالي أو الانشقاقي. وعلى الرغم من ذلك، لم

تكن الحكومة بعد عام 1967 واقعة تحت سيطرة الكونجرس كما هو موضح من خلال الأمثلة الأخرى القائمة في نفس مستوى الدولة حيث من المحتمل أن يواجه ويتحدى هذا التطور قدرة دولة الهند على قيام أجهزتها التنفيذية بمهامها بشكل مترابط ومتماسك. ومن المحتمل أن يكون هناك صعوبات ومشكلات إضافية، في مثل هذا الحال، يقوم سكان شمال شرق ولاية سريلانكا الذين يتحدثون باللغة التاميلية بإحداثها. قامت السياسية باندرانايكا، بعد تحقيق مزيد من الفوز الانتخابي عام 1970، بتطبيق نظام الدستور الجمهوري بجزيرة الهند. حيث استمر الدافع لجعلها دولة سيريلانكية بشكل أكبر. فهل سيكون هناك في المقابل استجابة لدعوة توحيد اللغة التاميلية، وكيف يكون رد فعل نيودلهي أيضًا؟ كانت الهند دولة للعديد من اللغات أو اللهجات الإقليمية لدرجة يصعب حصرها. حيث يتطور هؤلاء الأفراد المتحدثين بتلك اللغات في الغالب بكل ثقة في النفس. لذلك على الرغم من هذا التنوع والاختلاف هل كانت تعتبر الهند بشكل جوهري دولة هندوسية؟ وما هي الديانة – إذا كان من الممكن القول – التي تعتنقها بالضبط؟ قام حزب بهاراتيا جانا سينغ، كحزب سياسي، بطرح نفسه للانتخاب على نحو سيء قبل عام 1967، ولكن استمرت العديد من المنظمات المختلفة بشكل صاخب في طرح هذا الحال بالنسبة للهند كولاية أو دولة هندوسية. فليس من السهل، مع ذلك، محاربة هذا الفكر أو النهوض به بدون الخوض في أدغال أو حيثيات تعريف مفهوم "الهندوسية". وبصفة عامة، من الممكن اعتبار الهندوسية تكوين مفهوم للعلم أو المعرفة الغربية. حيث ساعد تأكيدها على الأنشطة الدينية بالأحرى من العقيدة مئات الملايين من الهنود على جعلهم هندوسيين. قد جعلت مثل هذه المرونة والمطواعية من الصعب تحديد كيفية تطور الدولة أو الأمة بدقة خلال فترة تولي السيدة غاندي منصب رئيس وزراء الهند. وحيث أن كل من المركز والدولة يتدافعان ويتصادمان من أجل الحصول على المركز والسيطرة، وجد الأخصائيون في العلوم السياسية من الصعب توضيح وبيان كيفية قيام الدولة بتنفيذ مهامها بالفعل. وقد صرّح والدها نهرو قائلاً بأن دول العالم سوف تقر باحترامها وإعجابها بالنطاق الذي تم تطبيق النظام الدستوري الهندي من خلاله الذي لم يترك أي مجال للشيوعية. وعلى الرغم من ذلك، فلم تختفي أو تتبدّد تلك الشيوعية في الواقع.

وقد كانت انديرا عام 1947، بعيدًا عن فترة الثلاثينات، هي ووالدها حاضرين في تلك الساعة من منتصف الليل التي تم الإعلان فيها عن استقلال دولة الهند. فقد كان يرافقها، قبل وبعد تلك الفترة، والدها الذي سافرت معه إلى الهند وخارج الهند. فلم يكن هناك أي شخص يتفق مع تصوره بالنسبة لماهية الهند والدور الذي يجب أن تقوم به داخل العالم. فالآن وبعد مرور ثلاثة عقود تقريبًا أصبح وظهر الالتزام بالديمقراطية الذي كان يميز تطور الهند داخل قارة آسيا كما يبدو أمر متزعزع ومحفوف بالمخاطر. وخلال السباق من أجل الاستخلاف، قد نجح غاندي في الحصول على يسار الوسط بالكونجرس – حيث لم يوضح الانقسام اليساري / اليميني العوامل المتورطة بالكامل. ومازال يتم أخذ سحر والدها في الاعتبار بعض الشيء: البنت مثل الأب. فهي أيضا قضت فترة ما في داخل السجن أثناء عودتها إلى الهند خلال زمن الحرب. ومع ذلك تعمل تلك الاستمرارية القائمة ظاهرية، والتي تم التعبير عنها من خلال تعيينها، حتما على تغيير الظروف داخليًا وخارجيًا. بصرف النظر عن الوقت الذي كانت فيه بأكسفورد، قبل ذلك بثلاثة عقود، لم تكن غاندي أجنبية أو غريبة بالنسبة للعالم بعيدًا عن دولة الهند. حيث أبعدت تلك الخلفية العالمية غاندي عن معظم الهنود. وقد ساهم نقل الحكم إلى شاستري في انقسام الكونجرس؛ حيث تم التئام هذا الانقسام والانشقاق بالكاد. وتعد قصة السنوات الدخيلة واحدة من الأزمات التي شهدها الكونجرس وأثرت على مركز ومكانة شبه القارة بالنسبة للعالم داخليًا وخارجيًا. وخلال الانتخابات القائمة في عهد رئيس الوزراء جواهر لال نهرو حتى عام 1962، قد حصل الكونجرس على ثلاثة أرباع المقاعد بمجلس الشعب البرلمانى الهندي.

وعلى الرغم من حصول الكونجرس على غالبية الأصوات بالبرلمان، إلا أنه قد خسر عام 1967 ما يقرب من 60 مقعدًا. فهل كان ذلك بداية للنهاية؟ فربما كان الزمن ينقضي بالنسبة لهيئة أو جهة قد تعتبر شيء هام ومحوري لتحقيق الاستقلال. وعلى مر العقود، نادرا ما كانت تحدث الاختلافات السياسية العادية الناتجة من تلك القضايا المعاصرة فجأة أو على نحو غير متوقع. فبينما اتجه حزب الاستقلال إلى القيام باستبعاد أو إدخال أحزاب

أخرى في العديد من الأحوال الأفريقية، فقد أخذت دولة الهند المستقلة الوجود المستمر لكل من الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في الاعتبار. فقد كان على وشك أن نشهد تعددية للأحزاب بشكل أكبر. وقد انقسم الكونجرس بفئتيه وقام كل من غاندي وديساي بإدارة شؤون كل فئة على حدة؛ حيث ادّعى كل منهما بتمثيل فئتيهما "الكونجرس الفعلي". وبعد عام 1969، شغل رئيس الوزراء منصبه بدعم وتأييد من جانب الأحزاب الشيوعية والاشتراكية. وتم تأميم البنوك أو المصارف. وتم اعتماد الأخلاقيات والمبادئ الاشتراكية للإدارة أو الحكومة. لم تقم الهند بنبذ أو التخلي عن موقفها المحايد بل أصبحت على وعي وإدراك بأنها الآن دولة من الدول ذات القوى العظمى. فقد كان يستلزم عليها التعامل مع الدول العظمى الأخرى في جميع أنحاء العالم على أساس مماثل ومطابق للإجراءات التي تستطيع اتخاذها حيث كان يستوجب عليها القيام بأعمال التطوير داخليًا. فقد كان تركيز نشاط وطاقة السيدة غاندي على شبه القارة نفسها، على الرغم من أنه لم يكن هناك انسحاب رسمي من حركة دول "عدم الانحياز" العالمية.

لقد أصبحت الأمور في غاية الصعوبة داخليًا في 26 يونيه عام 1975 عندما قام رئيس دولة الهند بإعلان حالة الطوارئ بموجب مادة معينة بالدستور. وقبل ذلك بأسبوعين، تم اتهام رئيس الوزراء أمام المحكمة العليا بمدينة الله أباد لتورطه في ملف الفساد الانتخابي. واستمرت تلك القضية أربع سنوات؛ حيث قام خصمها راج نارين برفعها أثناء الانتخابات العامة عام 1971. حيث قضى الحكم باستبعاد غاندي من المشاركة في البرلمان، بالإضافة إلى منعها من خوض أي انتخابات أخرى لمدة ست سنوات. ومع ذلك، صرّح رئيس الوزراء بأنه في إمكانها استئناف هذا الحكم الصادر بالمحكمة العليا ومواصلة مهامها في منصبها إلى أن يتم الفصل فيه في النهاية. حيث تمكنت من إقناع الرئيس في مواصلة عملها نظرا لأعمال الشغب والفوضى التي حدثت في أعقاب الحكم الصادر من المحكمة العليا بمدينة الله أباد. بموجب الحفاظ على أحكام قانون الأمن الداخلي، تم اعتقال المعارضين السياسيين وفرض الرقابة على دور الصحافة. فذلك كانت البداية فقط. فلم ولن تكون دولة الهند دولة بوليسية، ولكن مصروفات الحكومة

المركزية على الشرطة تزايدت بشكل سريع على مدى السنوات القليلة الماضية؛ تجاوزت عدد رجال الشرطة وكذلك النمو السكاني (بالإضافة إلى ما يتطلبه راج). وقد أصبحت أكبر الدول ديمقراطيًا في العالم تعيش في فوضى واضطراب. حيث ذكر البعض بأن الهند أصبحت تشبه دولة باكستان بشكل أكبر فليس كان المقصود من تلك الملاحظة مدح أو إطراء.

باكستان/ بنغلاديش: حلّ الاتحاد

لقد تم اتهام وإهانة الشعب الباكستاني بمثل تلك الملاحظات، ولكن لا يمكن إنكار أن الحوكمة الباكستانية أصبحت تنطوي على مشاكل معقدة منذ عام 1947. ومع ذلك، بعد مرور فترة الحكم العسكري بداخلها، تم انعقاد الانتخابات عام 1970 كجزء من إجراءات المرحلة الانتقالية إلى حكومة مدنية. وقد ضربت موجة المدّ والجزر الشهر السابق نهر دلتا الجانج؛ حيث أسفر ذلك عن وفاة مئات الآلاف من الأفراد. وقد تسبّب ذلك في تأجيل الانتخابات. وقد كشفت تلك النتيجة عن مدى الانفصال بين شرق وغرب باكستان. وقد فاز أخيرًا حزب رابطة العوامي بقيادة الشيخ مجيب الرحمن (الذي ولد عام 1925) بجميع المقاعد في البرلمان، ولكن لا يوجد له تمثيل داخل بلاد الغرب. وقد تم اعتقاله مؤخرًا بسبب اتهامه بالاشتراك مع الهند في حدوث انشقاق داخل بلاد الشرق.

وقد ادّعى شعوب البنغال، من جانبهم، أن بلاد الشرق على الرغم من كونها من أكثر البلاد المأهولة بالسكان؛ إلا أنها كانت تعتبر "مستعمرة" افتراضية باستثناء الجزء الهام الخاص بالنخبة العسكرية البيروقراطية لدولة باكستان. ولقد قام برنامج مجيب الرحمن القائم على ست نقاط بتمثيل دولة الباكستان بكونها اتحاد فيدرالي منحلّ. وقد كان حزب الشعب الباكستاني بقيادة ذو الفقار علي بوتو مسيطرًا في ذلك الوقت، إلا أنه لم يكن مسيطرا بدرجة كبيرة ببلاد الغرب. حيث حصل حزب مجيب الرحمن على غالبية الأصوات داخل مجلس الأمة الجديد، ولكن لم يكن هذا المجلس يعقد جلساته بشكل سريع. كما أن المفاوضات التي تم انعقادها بين قائدي الأحزاب الطموحين لم تحرز تقدمًا بدرجة كبيرة.

وقد وقف الرئيس يحيى خان والرئيس جنبًا إلى جنب بشكل متراخٍ مطلقًا. وقد انجرفت الدولة نحو حرب أهلية. وفي مارس عام 1971 حدثت اشتباكات واصطدامات بين المتظاهرين والقوات بشرق باكستان. فهذا هو الأساس الذي تم عليه تغيير وتبديل بعض من الاتفاقيات بانتظام. فقد أدت الظروف والأحوال التي أعلن عنها مجيب الرحمن صراحة إلى صدور إعلان الاستقلال فعليًا. فليس كان من المحتمل تطابق تلك الظروف أو الأحوال. حيث قام الجيش بعد ذلك باتخاذ إجراءات قمعية صارمة. وتم إلقاء القبض على مجيب الرحمن وترحيله إلى غرب باكستان. وقد كانت أعمال العنف العَرَقية التي حدثت بين "الباكستانيين" جلية وواضحة تماما. وتم استعادة بعض من مظاهر النظام، إلا أن أنشطة حرب العصابات والأعمال العدائية العامة جعل هذا النظام أو الاستقرار متزعزع ومحفوف بالمخاطر. كما قد يعتمد المحاولة الثانية للحصول على حكومة أو إدارة مدنية على الشعب الغير البنغالي.

ليس هناك شك في أن الهند نجحت في المشاركة في الأحداث فلم يكن هناك أرقام ثابتة لكنها كانت تتراوح ما بين عشرة ملايين فروا من شرق باكستان إلى الأراضي الهندية المجاورة، كان من بينهم سبعة ملايين من الهندوس. فقد تسبب تدفق السكان إلى الهند في الضغط الشديد على الموارد الإدارية الهندية وربما حدثت ستة آلاف حالة وفاة في مخيمات اللاجئين. أما في ولاية البنغال الغربية، فقد قام الناكسال والماويين الشيوعيون بشن حملة إرهابية تسببت في زعزعة استقرار المنطقة. في شهر أبريل لعام 1971، تم تأسيس حكومة بنجلاديش في المنفى في كلكتا في حين قام الجيش الهندي بقوة تحرير بنغالية (على الرغم من أنها لم تكن متماسكة في ظل التلاحم السياسي الكبير). السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل ستقوم دلهي بأكثر من ذلك؟ بحلول شهر نوفمبر، كانت دلهي تتوخى الحذر من التدخل الهندي المباشر إما باعتباره تصرف يؤدي إلى السيطرة على الحدود أو مقدمة لهجوم واسع النطاق للقبض على دكا، لذا فقد قامت باكستان بشن هجوم جوي وقائي غير ناجح في شمال غرب الهند إلا أن الرد العسكري الهندي، سواء في الغرب أو في الشرق، كان ناجحا للغاية. بعد استمرار القتال لمدة أسبوعين، ربما فقدت باكستان نصف قواتها البحرية وثلث جيشها وربع قواتها الجوية لذا فقد كانت العواقب وخيمة.

أصبحت الهند قوة مهيمنة في شبه القارة الأفريقية حيث تم الكشف عن الطموحات العسكرية للجيش الباكستاني. كانت دلهي في عجلة من أمرها لاستعادة عدد كبير من سجناء الحرب الباكستانيين أو عودة الأراضي التي تم الاستيلاء عليها في البنجاب وكشمير. ظل هذا الوضع حتى يوليو 1972، فقد تم عقد اتفاق بين بوتو والسيدة غاندي في شيملا من أجل التوصل إلى اتفاق بشأن هذه المسائلة، على الرغم من أنه تمت العودة إلى الوطن قبل عام. وفي واقع الحال، على الرغم من أن هذا المصطلح لم يكن موجود حينها، اعترفت باكستان بوجود بنجلاديش لكنها لا يمكن أن تقبل حدوث حرب التحرير واعترفت بنجلاديش بالكومنولث في عام 1972- الخطوة التي تسببت في مغادرة باكستان. لم يكن لدى الكومنولث القدرة على منع اثنين من أكبر أعضائها من الذهاب إلى الحرب ضد بعضهما البعض. بعد أن تم الإفراج عن مجيب الرحمن، قامت الحكومة البريطانية بتوفير طائرة سلاح الجو الملكي البريطاني من أجل نقله إلى موطنه ببنجلاديش حيث أنه قد جاء لرؤية رئيس الوزراء البريطاني في لندن إلا أن هذه الزيارة لم ينتج عنها أي مساهمة دبلوماسية كبيرة. اتفق بورتو والسيدة غاندي أنه يجب أن يتم حل مشكلة كشمير بطريقة دبلوماسية بينما احتج المتشددون في دلهي بأن يجب على الهند أن تستفيد من مكانتها القوية في الإصرار على التوصل لحل نهائي لمشكلة كشمير في جلسة منعقدة.

قد أصبحت الدوافع والحوافز للوساطة أو التدخل الهندي، في الوقت الحالي وفيما بعد، أمر يدور حوله النقاش والجدال. بالكاد ما تستطيع دولة الهند أن تورط نفسها ولكن يعد القيام بشن الغارات أمر آخر. حيث أن هناك بعض الآراء الهندية التي ترى أن الفرصة في إلحاق ضربة أو صفعة جسيمة بدولة باكستان أمر واضح وجلي؛ ولكن يظل تحديد كيفية توجيه تلك الرغبة للسياسة العامة أمر مبهم. وبالفعل تم توجيه تلك الصفعة الجسيمة. فلم ولن تستطيع دولة وحيدة، على الرغم من كونها دولة إسلامية، بأجزائها المنفصلة بآلاف الأميال أداء مهامها التنفيذية كما يجب. وقد كان هناك علامة استفهام حول (غرب) باكستان المتبقي. قد يصبح الجزء الخلفي أو الدبر سهل الانقياد بشكل أكبر ومحصور بين العالم الإسلامي المعقّد إلى جهة الغرب منه وبين الهند إلى جهة الشرق منه،

ولكن من الممكن ألايصبح ذلك أيضًا. لم تنحصر الشكاوي أو التظلمات حول "Punjabization" نحو الشرق. حيث من الممكن أن تفصل القضايا اللغوية والعرقية الدولة الغير متوازنة بعيدًا وتقضي في النهاية على عبث الانقسام الحادث عام 1947. ولكن حتى مع تحقيق تلك النقطة ببعض من الرضا والقبول من جانب مدينة نيودلهي إلا أن الهند كانت تشهد صراع لغوي وعنصري.

قد تم طرح العديد من الأسئلة حول الطريقة التي تعمل بها الحكومة الباكستانية. فإذا رجعنا للخلف، لن نجد أن هناك أحد كان معجبا بعملية صنع القرارات الباكستانية والقرارات التي كان يتم اتخاذها في الفترة ما بين شهر ديسمبر 1970 وديسمبر 1971. فقد كان من الممكن أن تبقى باكستان موحدة لو كانت القرارات التي تم اتخاذها أفضل من ذلك حتى وإن كانت هذه القرارات مختلفة. في لحظة نادرة من الرصانة ، استقال الرئيس يحيى خان وتم وضعه تحت الإقامة الجبرية ثم خلفه الرئيس بوتو ثم عاد ليشغل منصب رئيس الوزراء لمدة عامين بعد ذلك. على الرغم من أن شعور الجيش بالفخر قد تراجع، فقد ظل عاملا سياسيا لا مفر منه. بدأت فكرة إنشاء عاصمة جديدة خطط لها اليونان في إسلام آباد تمضي قدما منذ عام 1960 ثم بعد ذلك بدأ التخطيط من أجل أن يكون هناك سكان متعلمين في أنحاء مختلفة من البلاد وبث روح في المناطق النائية التي كانت مختلفة عن ميناء مدينة كراتشي وتهدف هذه الخطة إلى إظهار وحدة الدولة الحديثة- لكن كانت ثقة الباكستانيين في أنفسهم مهتزة، على الأقل مؤقتا حتى بثت المدينة الخضراء الطموح في النفوس لكن لم ينعكس ذلك في الواقع.

أما فيما يتعلق بالدولة الجديدة، فلم تستغرق بنجلادش وقتا طويلا حتى أدركت أن الاستقلال لن يحل مشاكلها، حتى وإن حمتها معاهدتها مع الهند من أي معتدين محتملين (الذين كان من الصعب تحديدهم). فقد بدا وعد "جولدن بنغال" بعيد المنال بسبب ظروف الفقر والجوع والبطالة واسعة النطاق. فقد كان مجيب الرحمن يعاني من أزمة صحية ، مترددا ما بين الاشتراكية العلمانية والتشدد الإسلامي البحت. فقد تم ترقية هذا المزيج وإطلاق اسم الحركة المجيبة، كما تم تفسيرها، إلا أنها لم تفسح الطريق للتقدم

والتطوير. انهارت الحكومة البرلمانية وأصبح عبد الرحمن دكتاتورا حتى تم اغتياله في أعقاب الانقلاب العسكري في عام 1975 وقد واجه قائد الانقلاب نفس هذا المصير بعد عدة أشهر لذا فلم تكن هذه البداية السعيدة لبناء الدولة.

الصين: بين الاغتراب الثقافي والإقامة الدبلوماسية؟

ليس هناك شك في أن دولة الصين كانت تحمل العديد من الهموم ففي نفس الوقت الذي كان الرئيس ماو، الذي كان يبلغ من العمر 73 عاما، يحتفل بالغطس في نهر اليانغتسي بآسيا بالقرب من ووهان لمدة 65 دقيقة في يوليو 1966، كانت الصين تسبح بعيدا عن التيار العالمي. من الجدير بالذكر أن ثورة الصين الثقافية لم تكن اندماجا في الثورة الثقافية الغربية على النحو المذكور في بداية هذا الجزء من الكتاب بل كانت تبدو وكأنها عهد إرهاب غريب أو حقبة من التفكير الجنوني الغير واعي الذي كان يكافح من أجل الفهم كما صنفتها العقول الأوروبية أو الأمريكية.

ففي هذا الوقت، كانت الصين وبشكل واضح منغلقة على عالمها الداخلي لدرجة أنه لم يكن هناك خريطة يمكن أن توضح على نحو كافٍ "مكانتها" العالمية بالإضافة إلى أن انشغالها بأمورها الداخلية ساهم أيضا في صعوبة تصور "شرق أسيا" على نطاق أوسع. قبل عام 1949، لم يكن هناك مدينة في الصين تحمل العديد من الدمغات التي كانت توضح علاقة الصين بالعالم الخارجي ووجود أجانب من جنسيات مختلفة بداخلها أكثر من شنغهاي. فقد كانت فترة استعادة نمط ما قبل عام 1937 المتعلقة بالعلاقات التجارية والمالية في عام 1945 قصيرة الأمد. أما بعد عام 1949 ، فقد أختفي العالم الخارجي من الصورة إلى حد كبير. وفي وقت ما ، كانت المدينة الصينية محرومة من فرض جوانبها العالمية وهي المدينة التي كانت تعمل بها جيانغ تشينغ وهي الزوجة الثالثة للرئيس ماو حيث كانت تعيش جزء جديد في حياة كانت في معظمها تمثيل وكان الرئيس ماو نفسه يعيش في شنغهاي في عام 1965 . بحلول شهر يناير لعام 1967 قام العاملون بالمطالبة بأهداف المساواة بإصرار وإعداد كومونة شنغهاي. خلال الأسابيع التالية ، حاول العمال جمع كافة الأملاك في المدينة ولكن سرعان ما تدخل الحزب المركزي لكبح جماح هذا

الحماس مرة أخرى. ومع ذلك، فقد أعلنت منظمتهم أنهم قد رفعوا العلم الأحمر الخاص بفكر ماو تسي تونغ ومن ثم فقد دخلوا في مرحلة جديدة في الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى في شنغهاي. عندما كان العاملين يتلفظون بكلمة "كومونة"، كانت تجول في أذهانهم فكرة كومونة باريس. على الرغم من ذلك، فقد كان هناك أمر متناقض في هذا النموذج كان جزءا من هذه الطاقة نابعا من الشعور بأن الصين الحديثة يجب أن تمضي قدما في الطريق بمفردها فلا ينبغي أن يؤثر ماضيها أو ماضي الدول الخارجية على مستقبلها وقد تحطمت الصلة التي كانت موجودة مع نظام ما قبل الثورة الصينية (تحطمت اللفظ الذي يستخدم حرفيا في حالة المعابد). كانت أخطاء الدول الأجنبية من كل نوع سواء الدول الغربية أو السوفيتي واضحة وجلية في كل مكان فعلى سبيل المثال يطلق الآن على الشارع الذي كانت تقع به السفارة السوفيتية اسم "شارع التحريفيين السوفيت". تعرض المفكرين الفاسدين للاضطهاد وتم التخلص من الكتب أو الموسيقى الأجنبية الموجودة في منازلهم وتم تدمير المكتبات. كان ذلك بمثابة مخاطرة من الصين في أن ترتدي الزي الغربي وكان واضحا أن تنخرط مكافحة الإمبريالية بسهولة مع الخوف من الغرباء.

وفقا للمبادئ الصينية، فقد كان هناك مجموعة من الثورة الثقافية مسئولة مع جيانغ تشينغ بصفتها نائب للمدير. كان من المفترض أن تتم السيطرة على الأحداث إلا أن ترك الأمور خارج نطاق السيطرة كان طريقة غير معتادة لممارسة هذا الاتجاه ويرجع ذلك إلى انه لم يكن هناك هدفا محددا يلوح في الأفق، كان حدث واحد يتسبب في حدوث الآخر. بدءا من عام 1966 فصاعدا، قد ساهم عنف اللغة وأحيانا العنف في السلوك في حدوث حروب ثقافية من العمق والتعقيد التي يستعصى على الغرباء فهمها فلم تكن الصين دولة منفتحة على العالم ونادرا ما كان يتواجد فيها أجانب. كان تفسير هذه الظروف يمثل تحديا لكل من المعاصرين والمؤرخين الذين جاءوا بعد ذلك ويرجع ذلك إلى أن الغموض والارتباك الذي كان يحيط بكل شيء حتى الرئيس ماو نفسه ، مع الأخذ في الاعتبار جانب الشيخوخة. كان الرئيس ماو يرى أن الحزب يخضع للبيروقراطية ومغريات الطريق الرأسمالي فكان لزاما أن تحدث ثورة جديدة. في حين أن المعلقين قد كشفوا ، وخاصة

الذين كانوا يشاركون بأنفسهم في هذا الأمر، عن وجود فئة جديدة تدير الحكم في كافة أنحاء العالم الشيوعي. فقد تم جمع أفكار الرئيس ماو في الكتاب الأحمر الصغير الذي ظهر باللغة الإنجليزية في عام 1966 في محاولة لوضع خط جماعي جديد. من الجدير بنا في هذا المقام أن نكرر ما قد قيل في عام 1948 ألا وهو بدون وجود سياسة عامة سوف يكون الشيوعيين وكأنهم ثوار أعمياء وغير مهيأين ومشوشين الفكر.

على الرغم من ذلك فقد كان الثوار، سواء مشوشين الفكر أم لا، يعتقدون أن الرئيس ماو قد أعطى الضوء الأحمر لتحطيم المعتقدات التقليدية بشكل متهور ومدمر (لم لا نغير دلالة اللون الأحمر من كونه لونا يدل على التوقف إلى لون يدل على إشارة البدء؟). لقد ظهر جيل جديد لم يكن يعرف دولة الصين قبل الرئيس ماو. لا يوجد أي سبب وراء الاعتقاد خلافا للتقاليد الصينية أن تقدم السن يجلب الحكمة (ما عدا في حالة الرئيس ماو نفسه). في أواخر عام 1966، أصطف آلاف من شباب الحرس الأحمر، مزودين بالكتب الحمراء الصغيرة، في موكب أمام الرئيس ماو في ساحة تيانانمن. قد يبدو ذلك أمرا جيد لكن على الرغم من مباركة العامة له إلا أن ماو لم يفكر قط في حجم الفوضى التي تلت ذلك. فقد توقفت المدارس والكليات والجامعات عن العمل (لفترات متفاوتة وبدرجات متفاوتة) ، بالإضافة إلى وجود مشاكل تنظيمية. وفي نهاية المطاف، تطلب الأمر قيام بعض فرق الدعاية الخاصة، التي تتكون من الفلاحين والعمال، الاستمرار وإجبارهم على استئناف الحياة التعليمية. كان الحرس الأحمر يتحرك بحرية، الأمر الذي ساهم في حد ذاته في متعتهم في سنوات نضجهم، الأمر الذي يوضح ما لا يمكن تفسيره بخلاف ذلك. ربما فقد نصف مليون شخص حياتهم في هذا الاضطراب وكان الجيران ضد بعضهم البعض وقد تم إرسال نحو أربعة ملايين أو ما يقرب من ذلك بعيدا في الريف. لذلك بعد أخذ جولة في هذا الأمر كانت الثورة الثقافية أهم ما يميز العقد بعد عام 1966. في شهر أغسطس لعام 1973، اقترح أحد المتحدثين في مؤتمر الحزب العاشر أن الصين لا بد أن تخضع دائما لثورة ثقافية.

بعد ما يقرب من مرور نصف قرن، لم يستطع أي تفسير فردي شرح ما يحدث. أدت

هذه الاضطرابات إلى بعض عمليات التطهير التي لا يستهان بها لاحقا في الحزب الشيوعي وبالتالي قد نجحت على الأقل في تلبية بعض أهداف الرئيس ماو الأصلية كما فعلت اللجان الثورية الجديدة التي تم تأسيسها على كل المستويات في جميع أنحاء البلاد. مع ذلك، فقد وجدت هذه اللجان أنفسها تخضع لممثل جيش التحرير الشعبي البارز الذي كان يعيش بين ظهرانيهم. ومع هذا يمكن القول بأن مشكلة البيروقراطية لا تزال قائمة. فقد لحقت أضرار كبيرة بالحياة التعليمية والاقتصادية والتي لا يمكن أن تعوض بشكل سريع. وفي أعقاب ذلك، كان لا يزال الرئيس ماو نفسه موجودا، لكن جاءت قضية الخلافة لتسيطر على السلوك السياسي على رأس الحزب لذا فقد أصبحت أسطورة ماو مهمة تماما مثل أهمية شخصيته. بعد مرور خمسة أعوام من الأيام الثورية حتى شهر يناير لعام 1967، فقد كانت كومونة، كما سوف نراها فيما بعد" مدينة شنغهاي" موقعا لإطلاق البيان الرسمي الذي لم يكن مفهوما وبغيضا بالنسبة للذين كانوا يناضلون من أجل محاربة ثورة الرياح الاقتصادية السوداء المضادة وبعد ذلك أعلنت الحكومتان الصينية والأمريكية للعالم عزمهما على تطبيع العلاقات الثنائية بينهما.

فمنذ بداية الثورة الثقافية، كان من الصعب إستخلاص إستنتاجات حول الرسالة التي كانت تهدف إليها فيما يتعلق بعلاقات الصين بالعالم الخارجي. قد كان استدعاء السفراء الصينيين إلى بكين، في العديد من العواصم، يوضح أن هناك أزمة عميقة تتعلق بهوية الوطن.

في شهر مايو لعام 1967، هاجم الغوغاء وزارة الخارجية في بكين وتم طرد وزير الخارجية أحد المقربين من تشو انلاي وقاموا أيضا بمهاجمة الدبلوماسيين البريطانيين والسوفييت الموجودين في العاصمة بالإضافة إلى القيام بمظاهرة ضخمة في بكين ضد السيطرة البريطانية المستمرة على هونج كونج ولذلك بعد مرور عدة شهور تم إعلان حالة الطوارئ. في شهر أغسطس لعام 1967، قام الحرس الأحمر الذي يشبه السفارة البريطانية في بكين وقد كانوا معروفون بإثارة الاضطرابات والشغب في بورما وكمبوديا وهونج كونج وحتى في موسكو. عند الأخذ في الاعتبار نوبات الغضب المستمرة ضد الولايات

المتحدة فيما يتعلق بتايوان وأماكن أخرى، يبدو الأمر كما لو كانت الصين تقوم بجلد كل من وفد إليها وإن كان هناك أحدا واثقا وعلى علم بماهية الصين في هذه المرحلة. مع ذلك ربما بدت كراهية الأجانب بمفهومها الواسع واضحة في الخوف الذي كانت تعكسه الثورة الثقافية. كانت دولة الصين لا تزال محاطة تقريبا من جميع الجهات بدول معادية لها بطريقة أو بأخرى. لذلك فقد كان للقضايا الجوهرية في الثورة الثقافية بعدا دوليا لا مفر منه.

لقد وصل العالم في هذه المرحلة إلى مرحلة حرجة وحاسمة حيث أنه كان لا يزال ثنائي القطب بإستثناء واشنطن وموسكو بدرجات متفاوتة فقد كان لديهم بالفعل انتشار عالمي على خلاف الصين التي لم تحقق أي انتشار عالمي. لقد انخرطت في شرق أفريقيا من خلال اتصال بسيط بتوفير قروض لتنزانيا وزامبيا من أجل بناء السكك الحديدية "تانزام" لكن لم يكن ذلك سوى صلة متواضعة خارج المنطقة. فقد كان لإعلان ألبانيا وحدتها في عام 1968 موضع ترحيب بلا شك ولكنه كان محدود القيمة ثم بعد ذلك تم استبعاد الدولة من حلف وارسو في عام 1961. إن كان إمتلاك سلاح نووي يجعل من الدولة التي تمتلكه قوى عظمى فالأمر في متناول اليد لذا فقد قامت الصين بتنفيذ أول إنفجار نووي في أكتوبر 1964 وأعلنت عن قنبلتها الهيدروجينية الأولى في يونيو 1967. فقد كان هذا الإعلان، وسياقه فيما يتعلق بالثورة الثقافية، بمثابة إشارة بأن الصين أصبح لديها الآن وضعا جديدا (على الرغم من أن إمتلاك قدرة نووية قوية بالفعل تحتاج لوقت طويل). ومع ذلك، كما هو الحال بالنسبة للدول التي تمتلك أسلحة نووية والتي كانت تعاني في فيتنام وغيرها من البلاد فإن حيازة هذه الأسلحة عاد بقليل من النفع المباشر مهما كانت قيمة التهديد العام الذي تواجهه. لذا فقد اشتبكت قوات الصين مع القوات السوفيتية عند نهر أوسوري في عام 1969. قامت كلا الدولتان بزيادة الفرق العسكرية المتمركزة بالقرب من حدودها. أحرزت محادثات لاحقة في بكين التي كانت تهدف إلى تخفيف حدة التوتر تقدما ملحوظا. وفي بعض الأماكن الأخرى، قامت الصين برفع طريقها على الساحة العالمية. في شهر أبريل لعام 1971، استعادة المملكة المتحدة محادثاتها الهاتفية مع

الصين (التي كانت قد انقطعت في عام 1949) ثم أقامت أكثر الدول الغربية (مثل كندا وإيطاليا) علاقات دبلوماسية في عام 1970. وفي شهر نوفمبر من نفس العام، صوتت الجمعية العامة للأمم المتحدة للاعتراف بدولة الصين، على الرغم من أن نتيجة التصويت كانت أقل من الثلثين وهي الأغلبية المطلوبة، لكن تم بالفعل ذلك في شهر أكتوبر لعام 1971 إلا أن الجهود الأمريكية اليابانية فشلت في السماح لتايوان في الاحتفاظ بعضويتها. وعلى الرغم من مكانة الصين التي تم تعزيزها إلا أن كون الصين على خلاف مع كلا من الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية أمرا غير مريح بالنسبة لها على أقل تقدير. في هذه الآونة، كانت بكين ممزقة بين الفاخر بالعزلة المحفوفة بالمخاطر والسعي للحد منها لذا فقد كان شكل العلاقات السوفيتية الأمريكية يحدد إلى حد كبير خياراتها.

زادت المسألة تعقيدا عندما دخلت نيودلهي وإسلام أباد في الصورة. على مدار العشر سنوات، كانت دائما للعلاقات الهندية- الباكستانية بعدا روسيا صينيا. لو كانت الحكومات في إسلام أباد ودلهي تتمتع بالحكمة فإنها لا تتخذ أي خطوات هامة في تعاملاتها الثنائية بدون الحصول على دعم من الصين والإتحاد السوفيتي على التوالي. اشتبكت القوات الهندية والصينية لفترة وجيزة على حدود سيكيم في سبتمبر لعام 1967.

في الوقت الذي بات استياء الصين فيه واضحا (في عام 1974)، حاولت الهند إحباط مزيد من النزاعات حول هذه المسألة من خلال إعلان سيكيم كدولة زميلة للجمهورية الهندية، مع تمثيلها في كلا من مجلسي البرلمان الهندي. في شهر يونيو 1968، قامت الهند بإتهام باكستان والصين بمساعدة المتمردين الذين كانوا نشطاء في ناجالاند (الهندية). كانت معاهدة الصداقة والتعاون بينها وبين الإتحاد السوفيتي ملائمة للتوجه المحلي لسياستها. ومن جانبها، تحدثت الإدارات الباكستانية عن أهمية علاقتها مع الصين. ومع ذلك ففي ظل الظروف الصعبة للأزمة الباكستانية الشرقية، أصبح من الواضح بأنه يتم تقديم قليل من المساعدة المباشرة لباكستان حيث وصلت بعض الإمدادات لكن بعد انتهاء بعض الأعمال العدائية. لم يكن لدى الصين النية في إشراك نفسها في حرب واسعة النطاق مع الهند.

لم تكن آسيا مجرد قضية آسيوية. فقد كان من اللازم أن يكون دور الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع الإتحاد السوفيتي والصين والهند وباكستان دورا حاسما. كانت العلاقات الهندية والأمريكية تتسم بالجمود والبرود على نطاق واسع وحتى تعاطف الخبير الاقتصادي كيه جيه غالبريث" سفير الولايات المتحدة" لم ينجح في أن يولد بينهم المزيد من الدفء. لم يكن هناك انجذاب بين نيكسون وغاندي بطبيعة الحال كما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تقف جنبا إلى جنب مع باكستان. في 4 من شهر ديسمبر 1971، قامت بتقديم قرار مجلس الأمن الذي دعا إلى وقف إطلاق نار فوري في باكستان الشرقية إلا أن الإتحاد السوفيتي قد اعترض على ذلك وبعد أربعة أيام قامت الجمعية العامة بإصدار قرار مماثل يهدف بطبيعة الحال إلى وقف زحف الجيش الهندي. قام نيكسون بإرسال حاملة طائرات إلى خليج البنغال والتي ربما كانت تشير إلى دلهي وأن الولايات المتحدة الأمريكية قد تتدخل في ذلك بالإضافة إلى أنه أيضا أقنع موسكو أن تحذر دلهي من استغلال الأزمة في محاولة تسوية قضية كشمير وقد ألمح أنه قد يلغي اجتماع القمة مع بريجنيف في الإتحاد السوفيتي الذى كان من المزمع عقده في شهر مايو لعام 1972 إلا أن بريجنيف كان لديه رغبة في عقد هذا الاجتماع لذلك قام نيكسون بذلك بالفعل لكنه كان لديه حيل أخرى. في منتصف شهر يوليو 1971، أعلن أنه سوف يقوم بزيارة الصين (التي حدثت في فبراير 1972) لذا فقد جاءت دعوة الإتحاد السوفيتي رد فعل على هذا الإعلان. ولذلك في غضون بضعة أشهر، أصبح نيكسون أول رئيس أمريكي يزور الإتحاد السوفيتي وهو في منصبه وأول رئيس يزور الصين على الإطلاق لذا فقد كان ذلك بمثابة نقطة تحول واضحة في الشؤون العالمية.

كانت الزيارة إلى الصين، التي استمرت لمدة عشرة أيام، حدثا ملفتا للأنظار. كما أكدت سجلات مكافحة الشيوعية ربما يكون الرئيس نيكسون هو الرئيس الوحيد الذي فعل ذلك. لقد كان كيسنجر من خلال القنوات الخلفية المفضل لديه، هو من قام بترتيب المناسبة بأكملها بينما كانت باكستان وسيطا متعاونا وقد كان هناك الكثير من سبل التعاون العامة. وفي الوقت نفسه، كان المسئولين يعملون بعيدا عن محتوى البيان الذي تم إصداره

في شنغهاي والذي كان ينص على أنه يجب على كلا البلدين عدم السعي وراء الهيمنة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. كلا البلدين قد يعارض أي دولة أو مجموعة من الدول من أجل السعي للقيام بذلك إلا أن بكين أكدت أن هذه الحكومة هي الحكومة الشرعية الوحيدة للصين حيث أنها تعهدت بتحرير تايوان كأحد القضايا الداخلية. ومن جانبها أعلنت واشنطن أنه يجب على الصينيين أنفسهم تحسين مستقبل الجزيرة بأيديهم ويجب أن تنسحب القوات الأمريكية في نهاية المطاف ويجب أن يبدأ الانسحاب بمجرد أن يتم تخفيف التوتر. على الرغم من أنه لا زال هناك صعوبات يجب التغلب عليها، فقد دخلت الصين والولايات المتحدة الأمريكية في عهد جديد.

و مع ذلك، فقد كانت هذه الثورة في جوهرها ثورة دبلوماسية في المقام الأول. لم تكن مصافحات الرجال أمام الكاميرات تحمل تأييدا داخليا كاملا من القلب.

ففي شهر سبتمبر لعام 1971، فر لين بياو، خليفة ماو المختار، هاربا إلى الإتحاد السوفيتي عندما فشلت المؤامرة التي كانت ضد ماو لكنه لقي مصرعه عندما تحطمت طائرته في منغوليا. ربما كان يفضل خيار الإتحاد السوفيتي للصين بدلا من الخيار الصيني. وبشكل عام، لم يتحول حجم الإدراك المتبادل، الذي كان متأصلا في مختلف المستويات، بين عشية وضحاها. لم يؤيد الاقتراع الأمريكي في يوليو 1971 زيارة نيكسون ولم تجر أي مناقشات عامة مفتوحة في الصين. لم يكن نيكسون وتشو أن لاي وماو تسي يونغ في وضع يساعدهم على تقوية العلاقات الشخصية. في هذا الصدد، كانت هذه الزيارة مجرد خاتمة غير متوقعة لمهن طويلة الأجل. يبقى أن نرى إن كان من الممكن إعادة بناء التفاهم بين الصين وأمريكا على نطاق أوسع.

اليابان: إعادة الانخراط أم إعادة التشكيل؟

لم تكن هذه "الزيارة" سوى صدمة في طوكيو. ظل الحزب الحاكم في اليابان لفترة طويلة حليفا مخلصا لسياسة الولايات المتحدة المناهضة للشيوعية في آسيا. فقد حافظ العديد من الساسة البارزين في اليابان على تواصلهم مع الرموز القومية الصينية قبل وبعد انتقالهم إلى تايوان (التي كانت مستعمرة يابانية سابقة) إلا أنها بذلت جهودا قليلة، انطلاقا

من احترامها للولايات المتحدة الأمريكية، من أجل السعي في تحسين العلاقات مع بكين. الآن مضى نيكسون في طريقه قدما، دون الإفصاح المسبق عن نواياه وبالإضافة إلى ذلك كان هذا السياق واحدا من أسباب تزايد الخلافات التجارية مع الولايات المتحدة. كانت عودة أوكيناوا، التي عقدتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ الاحتلال، موضوع واسع النطاق حيث أستمر التحريض لعدة سنوات. في نوفمبر لعام 1969، وافقت الولايات المتحدة على تسليمه في 1972 على الرغم من أنه لازال ينص على استخدام الولايات المتحدة. واصلت اليابان بعناية إدارة إعادة الانخراط مع العالم. تم إقامة معرض دولي (اكسبو 70 في أوساكا) من قِبل الإمبراطور خارج اليابان في نصف القرن بينما كان هناك زيارة إمبراطورية (زيارة هيروهيتو إلى أوروبا في عام 1971).

ثم تم تعيين تاناكا كاكوي (الذي ولد في عام 1918) كرئيس وزراء معين في يوليو 1972 من خلال القنوات المعتادة الذى كان يعمل حزبه بها لدرجة أنه قد حان الوقت للدخول في لحظة جديدة وبشكل مناسب لقد كان هو نفسه رجل جديد حيث كان رجل أعمال غني وغير فاسد بالنسبة للتعليم الجامعي العرفي أو الروتين البيروقراطي، على الرغم من أنه ربما كان المال سببا في إفساده. وفي الشهر السابق ظهر كتاب يحمل اسمه وكان هذا الكتاب من أكثر الكتب مبيعا "بناء اليابان الجديد: خطة لإعادة تخطيط الأرخبيل الياباني "وقد كان هذا الكتاب لافت النظر بسبب مبيعاته المذهلة لذا فقد كان الكتاب الذي يجب أن تقرأه. فقد كان لديه بالتأكيد أجندة محلية كبيرة إلا أن الصين كانت نصب عينيه. بعد أن تولى منصبه، قام تاناكا بزيارة إلى بكين في سبتمبر 1972 مع وزير الخارجية حيث كان تشو أن لاى في استقباله في المطار. قام الرجلان بإصدار بيان غير صريح وواضح بشكل مفصل إلا أنه كان ينص على مبادئ تحسين العلاقات في المستقبل. لم يكن لدى الرئيس ماو ما يقال فقد كان الجميع على بينة بمدى العلاقة التاريخية التي كانت بين البلدين. كان تاناكا كما لو كان قد فوض نفسه بالنيابة عن الأمة بأسرها قبل أن يسافر إلى بكين حيث قام بزيارة جميع رؤساء الوزراء الذين لا زالوا على قيد الحياة وقبور أسلافهم المتوفين في فترة ما بعد الحرب.

لم تكن زيارة تاناكا إلى الصين سوى مجرد السير على خطى نيكسون. يجب أن نذكر في هذا المقام أزمة النفط العالمية في ذلك الوقت بل لم يكن في ذلك الوقت هناك دولة تحتاج إمدادات الطاقة من الخارج أكثر من اليابان.

يجدر الإشارة أيضا إلى البيان العاجل الذي أصدرته اليابان لدعم الفلسطينيين في تقرير المصير ففي هذه المناسبة فكرت اليابان في مصلحتها أولا قبل كل شيء ولم تسير خلف الولايات المتحدة الأمريكية. قام تاناكا بالسفر إلى إندونيسيا وأستراليا وأماكن أخرى سعيا وراء الحصول على الطاقة، حيث أنه يدرك كل الوقت أن المفاوضات التجارية تحدث ضد الخلفية التاريخية وإشتباه الهيمنة الاقتصادية اليابانية. لم تنقطع تماما علاقة اليابان بالولايات المتحدة الأمريكية في فترة ما بعد الحرب لكنها تطورت بسبب حدوث قضايا متلاحقة واحدة تلو الأخرى. قد تقوم الولايات المتحدة والصين في الوقت المناسب بتطور فهم قضية " آسيا والمحيط الهادي" لكن كاستجابة لذلك كانت العلاقة الخاصة اليابانية والسوفيتية إما ممكنة أو مرغوب فيها. ثم قام تاناكا بعد ذلك بزيارة بريجنيف في موسكو لكنه فشل في استرداد مجموعة من جزر شمال الجزيرة اليابانية هوكايدو. وعلى الرغم من ذلك بحلول نهاية عام 1974، استقال تاناكا في أعقاب الانتقادات التي وجهت له بسبب التعاملات المادية إلا أن إعادة الهيكلة اليابانية لم تكتمل بعد لا محليا ولا دوليا. كانت علاقة الصين واليابان مع بعضهم البعض تتصل اتصالا وثيقا بحالة العلاقات السوفيتية- الأمريكية في أي وقت من الأوقات. لم تكن شرق آسيا في معزل عن العالم بل كانت أهميتها تزداد يوما بعد يوم.

جنوب شرق آسيا: كانت مترابطة- إلى حد ما

في جاكرتا في شهر أغسطس لعام 1967، شكلت إندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة وتايلاند اتحاد دول جنوب شرق آسيا الذي كان مقره الرئيسي في المدينة. لم يكن هذا الاتحاد إتحادا سياسيا فقد كان الغرض منه تحفيز التنمية الاقتصادية من خلال تعزيز التعاون عبر العديد من المجالات لذا فقد كان غنيا فيما يتعلق بالطموح العام وقد ساهم في بث روح وشعور الهوية الإقليمية خلال الاجتماع السنوي لوزراء الخارجية. كان

هذا الإتحاد يطمح في تعزيز الاستقرار السياسي حيث أنه ساعد جميع الدول الأعضاء في أن يكون لديهم حكومات ضد الشيوعية. كان هناك أمين عام يقوم بأعمال الإتحاد (كان يحمل الجنسية الإندونيسية وظل في منصبه حتى عام 1975). فعلى الرغم من أن هذا الإتحاد قد حقق أهدافه المحدودة إلا أن بقاءه ونجاحه في الواقع لم يكن مضمونا بأي حال من الأحوال. كانت السيادة على شمال بورنيو سببا في الاحتكاك بين ماليزيا والفلبين. فلم يكن هناك انسجام وتوافق بصفه خاصة بين النظام الملكي البوذي في تايلاند (و دعامات جيشه) والفلبين. كانت الهيمنة الصينية على سنغافورة محاطة بدول مجاورة من الشمال والجنوب لذا فقد كانت عرضه لحدوث نوبات شعبية من حين لآخر من العنف ضد الأقليات الصينية الموجودة بهذه البلدان إلا أن هذه الأمور مع ذلك لم تؤد إلى حدوث حرب بين هذه الدول.

فأي إتحاد من هذا القبيل وكذلك بروز دور إندونيسيا بداخلها قد يفاجأ كل من يلاحظه في النصف الأول من عام 1965 حيث أنها كانت مؤشرا على كيفية حدوث ذلك في وقت قصير. أصبحت إندونيسيا دولة هامة بشكل واضح حيث أنها ثالث أكبر دولة في آسيا. كما تم عزل سوكارنو، اليد التي قادت الديمقراطية الموجهة، في شهر مارس 1966. قبل ستة أشهر وعلى الرغم من وجود سلسلة من الأحداث الدموية التي كانت محيرة، فقد بدا الجنرال سوهارتو مسئولا وقد تم إعطائه بديل إنساني للشرعية. قد أثيرت حملة عنيفة في البلاد تستهدف الشيوعيين بعد استيلاء الجيش على السلطة بسبب نواياهم حول الانقلاب العسكري. فقد نصف مليون شخص على الأرجح حياتهم بسبب إراقة الدماء في المناطق التي شهدت ذلك وبل ضد بعض الأقليات الصينية أيضا ومن ثم فقد تم بالتأكيد تولي نظام عسكري آخر الذي كان بمثابة قدوم نظام جديد. خارجيا، انتهت المواجهة في ماليزيا وعادت إلى الأمم المتحدة.

وفي ذلك الوقت تراجع مفهوم "عالم الملايو" بعيد عن الانسجام الإسلامي النسبي أما داخليا انتهز النظام الجديد جميع الفرص في جاكرتا مدعيا أنه أنقذ البلاد من الشيوعية. بالإضافة إلى ذلك تم صياغة اللغة التي كان لها أهداف خاصة وهي اللغة الجاوية

الإندونيسية التي كانت أرقى بكثير من اللغة الشائعة في الشارع وكذلك قامت الحكومة برعاية مهرجانات الديمقراطية، على الرغم من أن مفهوم الديمقراطية الذي احتفلت به الحكومة كان بعيدا عن المفاهيم الغربية حول الديمقراطية. وعلى الرغم من أن هذه الحكومة كانت ضد الشيوعية إلا أنها لبت احتياجات الغرب. لم يكن ما حدث من خلال إجراء انتخابات إلا أن نتائجه تتفق تماما مع المتطلبات المنصوص عليها بوضوح. وبالنظر إلى ذلك فقد افترضت العواصم الغربية أن إندونيسيا أصبحت شيوعية، لكنها كانت بمثابة لفت الأنظار لطبيعة النظام. يمكن القول مرة أخرى بأنه لا يمكن إبقاء مجموعة من الجزر معا إلا من خلال حكم عسكري مزين بزخارف من الديمقراطية. كان هناك وجهة نظر في عام 1975 تبرر عمل الجيش الاندونيسي عندما قام بغزو وضم النصف الشرقي من جزر المحيط الهادئ تيمور عندما أعلن استقلاله عن البرتغال.

وبالتالي، أسست جنوب شرق آسيا، على الرغم من وجود نزاعات عند الحدود، في عام 1975 نوعا من الهوية الإقليمية في ظل وجود الهند والصين لكن بدون أن تكون مدينة لأحد بأي شيء. كان النضال في الهند والصين وطبيعة الأمور التي وصلت إليها في الوقت الراهن تحول دون إمكانية تمدد أكثر داخل جنوب شرق آسيا لكن في يوم من الأيام قد تصبح دولها أعضاء وتوسعت المنطقة لتمتد من بورما حتى أستراليا. لم تحتج الحكومة الأسترالية تحت حكم غوف وايتلام ضد استيلاء اندونيسيا على شرق تيمور واعترف خليفتها رسميا بسيادة إندونيسيا. وبكل تأكيد كانت أستراليا مختلفة، لكن في عالم متغير، فإن جغرافيا العالم لا تسمح لها أن تكون مختلفة.

كل مكان في غير محله؟

مع ذلك، في جميع أنحاء العالم، وجدت الدول نفسها، بدرجة واحدة أو بأخرى، مع التنوع في شعوبها أنها لا مثيل لها في التاريخ ثم بدأت الهجرة في طمس هوية القارات. فمن غير المرجح أن يكون المهاجرين الجدد، مع تصوراتهم المختلفة عن العالم، لهم تأثيرا مباشرا على السياسات في البلدان التي استقبلتهم ولكن في الوقت ذاته قد يكون للتعايش داخل الدول التي بها شعوبا لها أصول عالمية ووجهات نظر مختلفة قد يكون له عواقب

شديدة حيث أنها قد تعقد تحديد الأهداف الوطنية مما يؤدي إلى صعوبة القدرة على تنفيذ هذه الأهداف. وبالنظر إلى آسيا التي اعتبرت هذه الدول دولا متجانسة بشكل موحد أو افترضت أنه لم يكن هناك جوانب "وجود آسيا خارج نطاق آسيا" فكان من اللازم أن يتم تجاهل ذلك. تم تأسيس " ما وراء البحار الصينية" في جميع أنحاء العالم، مما أدي إلى وجود علاقات معقدة بين الدول بعضها البعض، أي بين زملاء المواطنين ومع كلا الكيانين اللذان أطلقا على أنفسهم اسم الصين كما تم الإشارة إلى ذلك.

فقد ساعد كلا من الإرث التاريخي وأنماط الهجرة الحالية في نقل شبه القارة الهندية إلى قارات أخرى. فقد ساعد استقلال شرق أفريقيا في جلب روح التنافس فيما يتعلق بمستقبل الهنود، مع الأخذ في الاعتبار، تداعيات ذلك عبر القارات. فقد أوضحت الحكومة الكينية في عام 1967 والحكومة الأوغندية في عام 1972 أن الهنود، التي كانت ناجحة في التجارة في كلا البلدين، يجب أن يغادروا. فقد بات واضحا أن "الأفارقة" لم تترك مكانا للآسيويين في شرق أفريقيا.

أصبحت مسألة إعادة توطينهم قضية مباشرة تخص لندن أكثر من نيو دلهي- كان هناك مناقشات تدور حول ما يعنيه مصطلح الرعايا البريطانيين. حتى مع ذلك فقد وجدت الهند نفسها مشاركة في " الهند في الخارج" وبالتالي أصبح ذلك في حد ذاته نوع من فرض الولاية الاستعمارية على الرغم من كرهها لذلك. كانت ردة فعل الحكومة الهندية على الأحداث في أوغندا من خلال قطع العلاقات الدبلوماسية مع كمبالا لذا فقد كان هناك قضية معقدة ثلاثية. فلم يكن الأمر يتعلق فقط بشرق أفريقيا لكن نشأت قضية متعددة الثقافات وكان ذلك نتيجة الشتات الهندي تحت رعاية الإمبراطورية البريطانية التي تلاشت أو اختفت. حصلت جمهورية غيانا (يطلق عليها جويانا باللغة البريطانية) في أمريكا اللاتينية في عام 1966 بعد مرور أربع سنوات من مكافحة شيدي جاغان وفوربس بورنهام من أجل السلطة في مرحلة ما بعد الاستعمار ودعم سكان جويانا من أصول هندية ومن الأصول الأفريقية على التوالي. شكل الهنود الحمر أقلية صغيرة في البلاد الناطقة باللغة الإنجليزية أمريكا اللاتينية التي كانت بلدتهم يوما ما. ومع ذلك، فقد أيد بورنهام

الجهة المنتصرة. لم يكن عدد سكان الهنود في شرق أسيا مهيمنا، لكنه كان متركزا في ناتال فقد كان إلى حد ما موجود بين الحكومة البيضاء ورأي الأفارقة موقف وسط وصريح. بينما حصلت فيجي على استقلالها في عام 1970، كان عدد سكان فيجي حائز على الأغلبية وكانت علاقتهم بالأقلية الهندية متقلبة. أما موريشيوس فقد حصلت على استقلالها في 1968، كانت أغلبية السكان من الهنود ومن سكان موريشيوس وظل ذلك لسنوات عدة وقد كانوا داعمين للسيد رامغولام (الذي ولد عام 1900) كرئيس للوزراء. على الرغم من ذلك، كانت الجزيرة متنوعة عرقيا ولغويا ودينيا. وفي مثل هذه الحالات وغيرها، أصبح سكان شبه القارة الهندية والهندوسية والمسلمين، من خلال الأحداث التاريخية، ذو أهمية تصل حتى إلى خارج المواقع التي يعيشون بها.

في بريطانيا، كان عدد المهاجرين من شبه القارة في عام 1960 يفوق عدد سكان جزر الهند الغربية لذا بحلول عام 1971 وصل عدد السكان في شبه القارة إلى ما يقرب من نصف مليون نسمة. كان معظم هذا العدد من السكان إلى حد كبير من البنجاب وغجرتيس البنغاليين إلا أنه لا يمثل جميع سكان شبه القارة ككل. ومن بين هؤلاء السكان كان يوجد بعض السيخ من البنجاب وبعض الهندوس إلا أن الغالبية العظمى كانت من المسلمين. بعد عام 1947، كان من المتوقع مع مرور الوقت أن يحدث ضعف تدريجي في العلاقات بين شبه القارة الهندية وبريطانيا- وبالتأكيد لن يكون هناك سبيل لتجديدها بهذه الطريقة. في أواخر عام 1960، أصبحت الهجرة وآثارها في قمة القضايا السياسية البريطانية. بدأت الحكومات البريطانية تتحدث رسميا، كما لم يحدث من قبل، عن العلاقات العرقية في بريطانيا حيث تم وضع قانون جديدة لهجرة الكومنولث وقد تحدث وزير الداخلية روي جينكنز عن التكامل، بطريقة لم يستوعبها الكثير، واصفا إياه بأنه عملية تسطيح أي أنه "تكافؤ الفرص مع تنوع ثقافي" وقد أوضح أن هذا المفهوم يجب أن ينشأ في جو من التسامح المتبادل،على الرغم من أن ذلك لم يكن واضح دائما. فعلى الأرجح قد بدأ مفهوم تعدد الثقافات يظهر في عام 1971 وبدأ يستخدم في المناقشات البرلمانية البريطانية. في هذا الوقت كان يتم زراعة شبة القارة الهندية كما كانت. لم تعد

إنجلترا التي قام بزيارتها انديرا غاندي كرئيس وزراء كما كانت في نواحي هامة كما كانت تعرف بإسم التلميذة أو الجامعية. وبطبيعة الحال كانت إعادة التوطين والترحيل هذه جزء من صورة أكبر لذا فقد تغيرت البلاد التي كانت تستقبل هؤلاء الأفراد النازحين. فعلى سبيل المثال، فقد تركت أستراليا في هذا العقد وحتى ذلك الحين سياسة أستراليا البيضاء وفتحت أبوابها للمهاجرين الآسيويين وغيرهم وليس للبورصة البريطانية.

ونستخلص من ذلك، أن الأهمية الكبيرة لحركة السكان كانت من أجل المستقبل. فقد كان ما يتصدر عناوين الصحف هو إيجاد حل للأزمتين اللتان واجهتهما القوتين العظمتين خارج حدودهم: فيتنام وتشيكوسلوفاكيا.